وحدة التنمية المحلية والتدبير المجالي للأستاذ عبد الله هرهار
تلخيص: أناس عوينات الجزء الأول

ملخص مقال ذ محمد الناصري: مراقبة المجال الترابي أو تنميته؟ مأزق السلطة منذ قرن.

- منذ قرن وقاعدة السياسة العامة تتمحور حول ضبط المجال الترابي ومراقبة سكانه.
- تميز التطور التاريخي للمجال الترابي المغربي بالاستمرارية رغم القطيعة الناتجة عن حلقة الاستعمار.
- تأثر المجال الترابي المغربي مؤخرا بسياق العولمة، حيث يمكن استعمال مفهوم "عولمة المجال الترابي" لتفسير آليات تجزيء المجالات، وتأهيل بعضها مقابل إقصاء أخرى.

1- من المخزن إلى الاستعمار:

- نهاية ق19 بدأ المجال الترابي يحتل بالتدريج و تستنزف الموارد خصوصا حقوق الجمارك التي شكلت ضمانات استخلاص الديون. وبدأ الأعيان يحتمون بالدول الأوروبية لضمان مصالحهم.

- **إدارة الجماعات والهاجس الترابي:**

- تأطير الدولة للمجال قبيل الاستعمار كان يتم عبر الحنطات و التجمعات الحرفية في المدن و عبر وساطة القياد. و كانت ترتبط الدولة بالجماعات و ليس الأفراد بعلاقات هشة تؤطرها أساسا صيغ توزيع الموارد و استخلاص الضرائب.
- أدى انعدام استقرار الهوامش و التوترات القبلية إلى توليد الهاجس الترابي في طريقة التفكير المخزني. الذي لم تتمكن "الحركة" من حل جميع مشاكله في غياب بنيات دائمة للوصاية و الإدارة الترابية. و قد زاد شطط القياد في استعمال السلطة من هشاشة علاقة المخزن بالقبائل.

- **قنوات المبادلات التجارية واحتلال المجالات الترابية الهامشية:**

- كانت المبادلات التجارية تتم في اتجاه شمال-جنوب. و كانت طرقها منفتحة و متعددة في الجنوب و تميل إلى الانغلاق في الشمال. وقد بدأت تميل نهاية ق19 نحو المحيط الأطلنتي. و قد تحكم المخزن في ثلاث عواصم وهي: مراكش، فاس والرباط لضبط المبادلات الآتية من السودان الغربي.
- أصبح الجنوب الغربي نهاية القرن 19 مجال منافسة بين ألمانيا و إنجلترا و استطاعت فرنسا احتلال مناطق أقصى شرق المغرب توجتها باحتلال وجدة سنة 1904 ثم الشاوية و الدار البيضاء سنة 1907 وانتهت بفرض للحماية سنة 1912. و تبين مراحل الاحتلال هاته ضعف "الإدارة الترابية" للمخزن.

- **ضعف الموارد والإدارة السياسية للمجال الترابي:**

- بقدر ما كانت المدن القديمة ضرورية استراتيجيا و اقتصاديا بقدر ما كانت ضعيفة سياسيا و عسكريا. أما القبائل فقد كانت تتمتع باستقلالية كبيرة و كانت تتمايز عن بعضها بشريا و ثقافيا.
- لقد خلق هاجس التحكم في المجال من أجل مراقبته و ضبطه عوض تنمية موارده البشرية و الطبيعية، توترا مستمرا خصوصا في المجالات القروية.

2- المجالات الترابية الاستعمارية وأعراض "هاجس الإثنية".

- **من مبادئ تنظيم المجال إلى الانحراف الإثني:**

- بدأ الاستعمار في تجهيز المجالات انطلاقا من السواحل في اتجاه الداخل. وظهرت 3 أشكال من الاستعمار: 1. استعمار استيطاني في السهول و الهضاب الخصبة. 2. استعمار اكتفى بتأطير السكان في الجبال، استقر شيئا فشيئا بعد تراجع المقاومة. 3. استعمار استقر في المناطق الحدودية و يهدف إلى الضبط العسكري لتنقلات الرحل و تأطير التخوم.
- يقر جورج هاردي و ج.سيلسريي أن تقسيم المغرب لمغرب نافع و آخر غير نافع تم صناعتها استعماريا و لن تكن معطى جغرافيا موضوعيا.
- بدأ التوجه نحو النموذج الإثني لتقسيم المغرب نهاية العشرينات و توج بالظهير البربري سنة 1930.

- **النموذج الإثني ومجاله التطبيقي:**

- اعتقد هذا النموذج في وجود "كتلة بربرية" متجانسة، حيث اعتقد روبير مونطاني في التعارض بين الدولة التيوقراطية السائدة في السهول والجمهوريات البربرية. لكن هذا التصور اصطدم بالتمايز بين أمازيغ سوس المستقرين و أمازيغ الأطلس المتوسط و الأطلس الكبير الأوسط الذين يتميزون تقاليدهم الرعوية القريبة من تقاليد الرحل، و التي تميزت تاريخيا بالعزلة.
- سهلت عزلت أمازيغ الأطلس المتوسط و الأطلس الكبير الأوسط على المستعمر تطبيق النموذج البربري في هذه المجالات. فرغم مقاومتها الشرسة للاستعمار في البداية إلا أنها شكلت مورد الاستعمار من الجنود الذين سيقمعون انتفاضات المدن ضده.

- **الاستعمال الكولونيالي لمنطق تدبير المجال المخزني واستنفار القوى التقليدية:**

- مثل المخزن سابقا، استعمل الاستعمار النظام القبلي كأداة للتحكم. فقد قمع انتفاضات المدن باستعمال جنود من الكتلة البربرية، تماما مثلما كان يستعمل المخزن القبائل الموالية له لقمع تمردات القبائل "السائبة".

- أدى عزل الاستعمار للكتلة البربرية إلى إقصائها التام من مسارات التحديث التي استفادت منها المناطق السهلية المأهولة بالعرب. و قد كرست هذه السياسة ثنائية المغرب النافع/المغرب غير النافع ضمن الثنائية الجديدة المجالات العربية/الكتلة البربرية. و بهذا كانت إدارة المجال الترابي من طرف المستعمر إدارة سياسية.

3- منطق إعادة تشكيل المجال الترابي الوطني:

- **عدم القدرة على حل "الثنائية": المنطق الاقتصادي الإيديولوجي:**

- بعد الاستقلال، شكلت رهانات السياسة الاقتصادية خطان متعارضان: الأول شكلته الحركة الوطنية بتوجهها اليساري، و التي طمحت إلى تصنيع البلاد و الإصلاح الزراعي عبر إعادة هيكلة المجال العقاري. لكن هذا التوجه سقط بعد إقالة حكومة الحركة الوطنية. و الثاني هو الخط الليبرالي الذي دعمه الأعيان واتبعته الدولة عبر التركيز فقط على السياحة و تكوين الأطر وعلى الجوانب التقنية في الفلاحة دون الاهتمام بتنظيم الفلاحين و تحسين أحوالهم المعيشية و الإصلاح العقاري.

- **الارتقاء القاهر للبيروقراطية الترابية:**

- لأجل تفعيل اللامركزية و شعار تقريب الإدارة من المواطنين رفعت الدولة بشكل كبير عدد الدوائر الترابية و العمالات. مما قلص مساحة الدوائر و قلص مواردها بسبب الإنفاق على التسيير و البنيات التحتية، كما وسع صلاحيات العمال الذين أصبحو ممثلين للملك بعد ظهير 1977، مما أعاد مركزية القرارات.
- العمال المرتبطين مركزيا بوزارة الداخلية يقومون بمراقبة البرامج و المشاريع المحلية التي تتم تحت إشرافهم و بعد موافقتهم. فالداخلية هي الوزارة الوصية على الجماعات الترابية و من تم فهي تراقب أيضا الاشتغال المحلي للجن كل الوزارات.
- ينتج عن هذا تشكل نخب محلية مرتبطة بالإدارة. بالإضافة إلى أن هذا التضخم الإداري ليس مشروعا لتنمية البلاد بقدر ما يسعى إلى التحكم في الموارد و توزيعها.

- **النخبة التقنو-إدارية ونظام الامتيازات على الطريقة "الفيودالية":**

- تضخم الإدارة و قلة الأطر التي تتمتع بالكفاءة. أديا إلى مركزة القرار من أجل مراقبة جميع دواليب الدولة. و سمحا للنخب التقنو-إدارية بغزو كل المؤسسات. و أدى تضخم الإدارة أساسا إلى انتشار الزبونية و المحسوبية في تقلد المهام و المناصب الإدارية.
- هناك مركزية مفرطة في تعيين المسؤولين الكبار في الإدارة العمومية يقابلها حرية مفرطة في تصرف هؤلاء المسؤولين تبدأ من المصاريف المفرطة في تجهيز مكاتبهم.
- غياب التقييم و المحاسبة و المراقبة الإدارية و المالية يحد من فعالية الإدارة. و ينشر فوضى أنظمة الامتيازات المقدمة للمسؤولين الذين يغضون الطرف عن تبذير الموارد المالية في المقابل.

- **عولمة المجال الترابي و آثارها: عجز التكنوقراط:**

- بسبب انزوائهم و بعدهم عن السياسة و تحكم البيروقراطية الإدارية المستفيدة من ريع الإدارة . يعجز التقنوقراط عن التأثير الإيجابي في المجال الترابي. و تظل مشاريعه التحديثية المرتبطة بسياق العولمة مفصولة عن واقع المجال الترابي الوطني.
- انخراط المغرب في سياق العولمة و هو غير جاهز اقتصاديا و إداريا سيولد أزمات اقتصادية واجتماعية لها عدة تداعيات.

- **من مغربين إلى أربعة:**

- بعد التقسيم الاستعماري للمغرب إلى نافع و غير نافع. يتوقع أن تقسمه العولمة إلى أربع: 1. مغرب مندمج في العولمة مكون من نخبة مراكز الأعمال و القرار بالمدن الكبرى و الأحياء الراقية. 2. مغرب حضري مكون من الطبقة المتوسطة يكون مفصولا عن العالم القروي حيث ترتبط الحواضر فيما بينها عبر طرق سيارة مكرسة عزلة البوادي المهمشة. 3. مغرب مهمش في ضواحي المدن في مساكن غير لائقة. 4. مغرب قروي يعيش الفقر و العزلة.

انتهى